

الولايات المتحدة وسوريا.. من أساء فهم الآخر؟



وارتكاب أي انتهاكات أخرى لحقوق الإنسان بحق المدنيين". فضيلة فورد الوحيدة هي إشارته في حديثه حول سوء الفهم، إلى أن الألمان استعادوا وحدتهم عام 1990 بعد مفاوضات بين الشطرين الشرقي والغربي لألمانيا، جرت على مسار، وفي حين انهضت دول الاحتلال الأربع في مناقشة الأمن الإقليمي الأوروبي على مسار مختلف. "ولم يكن ممكناً التوصل إلى اتفاق، لو أن الألمان لم يتوصلوا في ما بينهم لاتفاق في المقام الأول". وهو يعبر بهذا عن مخاوف أميركية، تدل على أن واشنطن تفهم جيداً، ولا تسعى الفهم، وأن العرب والسوريين من بينهم، سيفهمونها كما فهمها الألمان ذات يوم.

عجزهم عن استيعاب كيف يفكر السوريون. يقول زرت حمة في يوليو 2011 لبعث رسالة إلى حكومة الأسد، مفادها أنه حال ارتكابها مذبحه فإننا سنراقب الوضع بدقة، على خلاف ما حدث عام 1982. وتكررت هذا بالفعل خلال لقائي بوزير الخارجية وليد المعلم، الاثنان التالي لزيارتي للمدينة. بيد أنه للأسف، تركت زيارتي انطباعاً لدى الكثير من المظاهرين السوريين وجاء التصريح الصادر عن أوباما في أغسطس 2011 حول ضرورة تنحي الأسد ليعزز هذا الانطباع الخاطيء.

بعدم ارتكاب مجازر، وعن أن من فهم الرسالة هم من صاروا الضحايا لا المرسل إليه. لكن الأميركيين ظلوا، حتى هذه اللحظة، يشتغلون على الضحايا وتركوا من وجهوا إليه الرسالة يواصل تدمير سوريا وارتكاب مجازر أكبر باضعاف من مجازر حماة. وهم لم يتدخلوا لأن هذا البلد له سيادة، كما يبرزون، بينما يقول بليكن في أيامنا هذه إن "السيادة لا تعني ضمان حق الحكومة في تجويع شعبها وحرمانه من الدواء، وقصف المستشفيات

الأسد، دون أن تحرك ساكناً. المفارقة أن فورد لم يفقه لفت انتباه قرانه إلى عدو قديم، بات اليوم، على ما يبدو، مُهماً للسياسة الأميركية. إنه الزعيم السوفييتي الشيوعي الأسبق جوزيف ستالين الذي يرى فورد أنه من الجدير التذكير أن "ستالين، عندما حذر مستشاروه من أن بابا الفاتيكان سيغضب إزاء تصرفات السوفييات داخل بولندا، الدولة الكاثوليكية، كان تعليقه: كم عدد الكتائب التي يملكها البابا؟ وبالفعل، ظل الجيش السوفييتي داخل بولندا طوال 49 عاماً. وبدلاً من استسلام أبراهام لينكولن وتوماس جيفرسون وجورج واشنطن، غدا ستالين الأكثر واقعية ودموية، هو النبي الأميركي الجديد.

لا شك أن الخطاب السياسي الأميركي اليوم خطاب بالغ التهليل، تساهم عولنتهم ذاتها بفضحه أكثر، ولو أن الأوضاع كانت كما في زمن الحرب الباردة لربما خرجت المحكمة العليا في واشنطن مطالبة بمحاكمة أوباما وسفيره فورد على التلاعب بالقيم الأميركية الذي قاما به في سوريا. أما الخطأ الأكبر الذي ارتكبه الأميركيون، حسب فورد دائماً، فهو

دمشق، على بعد ثلاثة كيلومترات من مقر سفارتنا. وأرشدني أحد السوريين إلى كيفية العثور على معلومات عن هذه المظاهرة على شبكات التواصل الاجتماعي".

التحول الكاركتوري للدور الأميركي في الشرق الأوسط، من حارس للعالم، إلى مجرد متابع عبر فيسبوك، والذي يبرز جلياً في كلام فورد وبليكن، يقود إلى ما تفعله واشنطن مع حلفاء آخرين لها في المنطقة، أهم وأكثر تاريخية من شعوب الشرق التي تلطعت إلى التحرر والديمقراطية التي تنشرها الولايات المتحدة بجيوشها. الحقيقة أنها لن تستطيع التخلص من هذه التهمة، مهما فعلت، لأن نظام العولمة الذي ينتشر بإرادة سياسية أميركية منذ مطلع التسعينات، ينقل معه فايروس الديمقراطية بالضرورة، فلا حرية تكنولوجية بلا حرية رأي، ولا قدرة شرائية بلا تحرير سوق، ولا خلق للحاجة والجديد من دون التخلص من هيمنة الدولة الأم؛ النظام القديم.

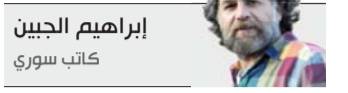
لنعد إلى حلفاء الولايات المتحدة، وإلى طرفه يربوها ساخرًا الرئيس الأشد فقراً في العالم، في الفيلم الوثائقي الذي أعده المخرج الصربي أمير كوستاريكا صاحب فيلم "زمن النجر" عنه. فقد ردد رئيس الجمهورية السابق في الأوروغواي خوسيه مويخكا حكماً لاتينية عتيقة تقول "إن الدولة الوحيدة في الكرة الأرضية التي لا يوجد فيها انقلابات هي الولايات المتحدة، لأنه لا توجد سفارة أميركية في واشنطن". وهي فكرة تعكس كيف يفهم العالم الدور الأميركي الذي نراه دون أي تشويش في الخليج العربي. حيث تحرص الولايات المتحدة على إبقاء توازن الرعب بين إيران وحلفائها الأكثر قرباً والأكثر أهمية دوماً، العرب.

قال فورد إن المسؤولين الأميركيين أصروا على الحديث عن "عدم وجود حل عسكري" للأوضاع في سوريا. وأضاف "كزنا هذا الأمر الآلاف من المرات منذ عام 2011 حتى يومنا هذا، إلى درجة أن هذه العبارة تحولت إلى عقيدة راسخة في أذهاننا. ومع ذلك، تبقى الحقيقة أنه في الحروب، يظل التوازن العسكري الأمر الأكثر أهمية". لكن واشنطن سمحت بالحل العسكري الروسي - الإيراني في سوريا لدعم

إن لم يكن هذا موقف واشنطن؟ الم يخرج أوباما موجهاً خطابه إلى الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك بصيغة الأمر، مكرراً أن عليه أن "يرحل. الآن، يعني الآن؟" ألم تشجع الولايات المتحدة الليبيين على الثورة وتساوم في قصف نظام القذافي؟ الأمر ذاته في اليمن وفي ملفات أخرى. من الصعب تصديق فورد بعد إشرافه شخصياً، كأم العروس، على كل صغيرة وكبيرة في تشكيل المعارضة السورية الحالية، وحرصه على تصليب قطع صغيرة صنعت مشهداً بعينه، علاوة على رسمه الدقيق لمواقف تلك القوى الدولية التي يتحدث عنها بليكن اليوم، حين كانت الساحة خالية، ولم يكن بوسع أحد التدخل سوى واشنطن التي واجهت واقعاً خارجاً عن السيطرة، فكان عليها أن تعالجه بمعطيات تناور مع جميع الأطراف بواقع جديد مهمة فورد كانت تركيبه بعناية، وكأنه كان يقرأ من "كاتالوغ طوارئ" معدّ سلفاً.

لنعد إلى حلفاء الولايات المتحدة، وإلى طرفه يربوها ساخرًا الرئيس الأشد فقراً في العالم، في الفيلم الوثائقي الذي أعده المخرج الصربي أمير كوستاريكا صاحب فيلم "زمن النجر" عنه. فقد ردد رئيس الجمهورية السابق في الأوروغواي خوسيه مويخكا حكماً لاتينية عتيقة تقول "إن الدولة الوحيدة في الكرة الأرضية التي لا يوجد فيها انقلابات هي الولايات المتحدة، لأنه لا توجد سفارة أميركية في واشنطن". وهي فكرة تعكس كيف يفهم العالم الدور الأميركي الذي نراه دون أي تشويش في الخليج العربي. حيث تحرص الولايات المتحدة على إبقاء توازن الرعب بين إيران وحلفائها الأكثر قرباً والأكثر أهمية دوماً، العرب.

قال فورد إن المسؤولين الأميركيين أصروا على الحديث عن "عدم وجود حل عسكري" للأوضاع في سوريا. وأضاف "كزنا هذا الأمر الآلاف من المرات منذ عام 2011 حتى يومنا هذا، إلى درجة أن هذه العبارة تحولت إلى عقيدة راسخة في أذهاننا. ومع ذلك، تبقى الحقيقة أنه في الحروب، يظل التوازن العسكري الأمر الأكثر أهمية". لكن واشنطن سمحت بالحل العسكري الروسي - الإيراني في سوريا لدعم



كان مثيراً للاهتمام والتفكير خلال الأيام الماضية، نشر صفحات للجهود العراقية على موقع تويتر لصورة فوتوغرافية لجنديين أميركيين يعكفان على نشر قفل خزنة فولاذية خلال الحرب على العراق مع التعليق التالي "جنديان أميركيان وهما ينشران الديمقراطية في العراق". تعبير ساخر يستدعي معه أحدث طروحات أدليها اثنا من صنّاع القرار الأميركي في الشرق الأوسط، أولهما السفير الأسبق في سوريا روبرت فورد، الذي كتب مؤخراً أن الشعب السوري فهم موقف واشنطن بطريقة خاطئة، حين اعتقد أنها تدعم التغيير في سوريا وأنها بالفعل، تنوي إزاحة نظام الرئيس بشار الأسد. وثانيهما وهو الأهم والفاعل اليوم بقوة، وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن الذي تحدّث بانفعال وتأثر في اجتماع حول الملف السوري عقد قبل أيام.

قال بليكن إن على القوى الدولية أن تخل من عدم تحريكها ساكناً في سوريا، وطالب بفتح الحدود السورية أمام المساعدات الدولية. وعبر فوق ذلك عن شعوره بالغضب الشديد، كلما جرى الحديث عن سوريا.

ليس هذا فقط بل إن الوزير المحكّ أضاف بلغة تعبيرية مقصودة قائلاً "كيف يمكن إلا نجد في قلوبنا قيماً إنسانية مشتركة من أجل القيام بفعل ذي معنى؟ انظروا في قلوبكم. يجب علينا أن نجد طريقة لعمل شيء ما. هذه مسؤوليتنا، وعارٌ علينا إن لم نفعل ذلك".

بين هذين الموقفين، يمكن السؤال، ليس فقط عن السوريين وقصتهم مع نظام معقد حكمهم بالحديد والنار منذ بدايات الستينات وحتى اللحظة، بل مع جميع من لا يستهيم بد الرحمة الأميركية في العالم العربي. فهل حقاً فهمت الشعوب العربية مشروع واشنطن لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط الذي بدأ بغزو العراق في العام 2003 بشكل خاطيء؟ إذ كيف يمكن أن يساء فهم المطالب الأميركية للزعامة العرب بالتخني على لسان أوباما في تلك السنوات المثيرة،

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

نحو حل الدويلتين.. دويلة رام الله ودويلة غزة

أفضل لتجديد الشرعية من الفوز في الانتخابات. سوف تعيد الانتخابات القادمة، إذا تمت، الوضع الفلسطيني إلى وضعه الحاضر، حيث تستمر حركة فتح في حكم الضفة الغربية بفوز أو دون فوز. كذلك ستفعل حركة حماس في حكم قطاع غزة، وكلاهما سيكون مؤهلاً بـ"الشرعية" وجاهزاً للانفصال النهائي وتكريس دويلتين فلسطينيتين، دويلة رام الله ودويلة غزة، وبموافقة دول المنطقة وكل دول العالم على ذلك. بدلاً من العمل على إنشاء دولة فلسطينية واحدة قابلة للحياة.

انتخابات نزيهة لتحقيق الوجود السياسي للدولة الفلسطينية المؤخدة التي تعارضها إسرائيل، وتعارضها أيضاً الفصائل الفلسطينية الأقوى فتح وحماس. قد يثبت تطور الأحداث قبل وأثناء وربما بعد انتهاء الانتخابات، وفق تفسير يتردد في بعض الصحف الغربية أن ضغوط الدول الأوروبية نحو إجراء الانتخابات الفلسطينية هو الذي أرغم الفصائل، بعد حوالي خمسة عشر عاماً من الفشل، منذ الانتخابات الأخيرة، على القبول بإجرائها الآن.

وليس الحزبية قد يتسبب في رد فعل غاضب من الشعب في الضفة الغربية وقطاع غزة، يتمثل في مقاطعة شعبية للمشاركة في الانتخابات القادمة. قد يثبت تطور الأحداث قبل وأثناء وربما بعد انتهاء الانتخابات، وفق تفسير يتردد في بعض الصحف الغربية أن ضغوط الدول الأوروبية نحو إجراء الانتخابات الفلسطينية هو الذي أرغم الفصائل، بعد حوالي خمسة عشر عاماً من الفشل، منذ الانتخابات الأخيرة، على القبول بإجرائها الآن.

مكاتب الرئاسة أو غرف مسؤول أمني. حين تم فرض قوانين الانتخابات وفق ما يبريد قادة السلطة والفصائل، المتخالفة والمنفقة، تم حرمان الفرد الفلسطيني من حق الترشيح، ولم يعد من حق المواطن الفرد الترشح لعضوية المجلس التشريعي، ولم يبق له سوى الانضمام، لو يملك الإمكانات والعلاقات، لإحدى القوائم الانتخابية التي يتم موافقة لجنة الانتخابات العليا أو جهات أخرى على شرعيتها لخوض الانتخابات. لم تكن تلك التعليمات عزم المواطن الفلسطيني على خوض الانتخابات بقوائم لا تتبع الفصائل أو الأحزاب وتم ترتيب عدد من قوائم تتضمن أفراداً لا حزبيين لكنهم قادرين ورابعون ومؤهلون لتسلم مراكز ومناصب ومسؤوليات تخدم الشعب الفلسطيني واحتياجاته، وأيضاً أهدافه الوطنية المشروعة.



فاجأ الشعب الفلسطيني العالم بأسره. وبالذات في ما يبدو السلطة الوطنية الحاكمة في الضفة الغربية، وحركة حماس الحاكمة في قطاع غزة، وما يدور حولهما من فصائل وتنظيمات داخل الأراضي الفلسطينية وخارجها. كان الرد الشعبي العارم يمثل مدى الحسرة والغضب من السنوات الطوال التي لم يكن له الرأي أو الحق لممارسة الانتخاب في من يحكمه.



ما تبقى من الأرض والشعب الفلسطيني لهذا النظام الانتخابي القائم على رفض الانتخاب الفردي والاعتماد على الانتخابات الجماعية لم يوافق عليه الشعب الفلسطيني، ولم يجر استفتاء حوله، رغم أن الانتخاب الفردي كان الأساس في أول انتخابات في تاريخ الشعب الفلسطيني عام 1996 وانتخابات عام 2005 الرئاسية والتشريعية.

الانتخابات القادمة إذا ما تمت سوف تعيد الوضع الفلسطيني إلى وضعه الحاضر حيث تستمر حركة فتح في حكم الضفة الغربية بفوز أو دون فوز كذلك ستفعل حركة حماس في حكم قطاع غزة

انطلق الحراك الفلسطيني الشعبي المستقل والحر لترشيح أو دعم ترشيح من يرون أنفسهم جديرين بالمشاركة في العمل التشريعي والسياسي والحكومي. الحماس الذي أبداه الشعب الفلسطيني تجاه إجراء الانتخابات العامة أثبت أنه يرفض الانصياع لحكم يفرضه قرار من لجان تنفيذية أو مركزية أو توصية من رئيس أو وزير أو نصيحة من مستشارين يهيمنون في زوايا وممرات